السّيرةُ النّبويّة للبراعم

(٢٦)

بَيْعَةُ العَقَبَةِ الأُوْلَى

الدكتور
محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق.

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف: ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس: ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

لَيْلَةُ العَقَبَةِ الأُوْلَى

تَعَـالَـوا أيُّهـا الأَحِبَّـةُ البَـرَاعِـمُ لِنُتَـابِـعَ الحِكَايَةَ ، وَنَتَساءَلَ : هَلْ عَادَ الوَفْدُ المُؤْمِنُ إلى يَثْرِبَ ، فَأخلدوا إلى الأَرْضِ ، وَتَرَكُوا أيَّ نَشَاطٍ يَتَعَلَّقُ بِأُمُوْرِالدَّعْوَةِ إلى الله ؟أَمْ كَانَ الأَمرُ عَلى عَكْسِ ذَلِكَ ؟

لَقَدْ وَصَلُوا إلى يَثْرِبَ ، فاسْتَنْفَرُوا كُلَّ طَاقَاتِهِمْ ، وتَحَوَّلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُم إلى دَاعِيةٍ كَبِيرٍ .

وَكَانُوا يُرَكِّزُونَ في أَحَادِيْثِهِمْ عَلىٰ مَا رَأَوْهُ

مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ ، وَالتَّعَامُلِ بالحُسْنَىٰ ، وَمَا إِلىٰ هُنَالِكَ .

وَلِذَلِكَ انْتَشَرَ خَبَرُ الدَّعْوَةِ إِلىٰ الدِّيْنِ الحَنِيْفِ ، وَدَخَلَ إِلى كُلِّ بَيْتٍ ، وَأَصْبَح هَذَا الخَبَرُ هُوَ حَدِيْثَ النَّاسِ في كُلِّ سَهْرَةٍ ، وَبَيْتٍ!

حتَّىٰ إِنَّ الكَثِيْرِيْنَ مِنْ عَرَبِ يَثرِبَ أَصْبَحُوا يَتَمَنَّوْنَ مَجِيءَ العَامِ القَادِمِ .

حتَّى يَكُوْنَ اللِّقَاء مَعَ الرَّسُوْلِ ﷺ .

وَلَمَّا كانَ شَهْرُ ذِي الحِجَّة ، وَذَلِكَ في السَّنَةِ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ لِلْبِعْثَةِ ؛ انْطَلَق وَفْدُ الخَيْرِ ، والنُّوْرِ مِنْ يَثْرِبَ بِاتِّجَاهِ مَكَّةَ .

وَكَانَ الوَفْدُ مُؤَلَّفاً مِنْ اثني عَشَرَ رَجُلاً ، عَشْرَةٍ مِنَ الخَزْرَج ، واثْنَينِ مِنَ الأَوْسِ .

وَفي المَكَانِ الَّذِي تُرمَىٰ فِيهِ الجِمَارُ أَيَّامَ الحَجِّ كَانَ لِقَاءُ الوَفْدِ مَعَ المُصْطَفىٰ ﷺ .

وَالجَمِيْلُ في الأَمْرِ أَنَّ الاجْتِمَاعَ كَانَ سِرِّيًّا ، فَلَمْ تَعْلَمْ قُرَيْشٌ بِهِ ، وَكَانَ الحَدِيْثُ فِيْهِ وُدِّيًّا يَتَّسمُ بالصَّراحَةِ .

وَفي بِدَايَةِ اللِّقَاءِ طَلَبَ رَسُوْلُ الله ﷺ مِنْهُمْ تَجْدِيْدَ التَّشَهُّدِ ، وَإِعْلانَ الإِيْمَانِ .

أَمَّا أَهَمُّ بُنُوْدِ بَيْعَةِ العَقَبَةِ الأُوْلَىٰ فَنَجِدُهَا فِيمَا رَوَاهُ أَحَدُ الَّذِيْنَ حَضروا تِلْكَ البَيْعَةِ ، وَهُوَ (عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ) رَضيَ الله عَنْهُ ، حَيْثُ قَالَ :

كُنْتُ فِيْمَنْ حَضَرَ العَقَبَةَ الأُوْلَىٰ ، وَكُنَّا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلاً ، فَبَايَعْنَا رَسُوْلَ اللهِ صَلواتُ اللهِ وسَلامُهَ عَلَيْهِ عَلَىٰ بَيْعَةِ النِّسَاء ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُفْتَرَضَ عَلَيْنَا الحَرْبُ : عَلَىٰ ألا نُشْرِكَ بِاللهِ شَيْئاً ، وَلا نَسْرِقَ ، وَلا نَزْنِيَ ، وَلا نَقْتُلَ أَوْلادَنَا ، وَلا نَأتِيَ بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِيْهِ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيْنَا ، وَأَرْجُلِنَا ، وَلا نَعْصِيَهُ في مَعْرُوفٍ ، فَإِنْ وَفَّيْتُم ؛ فَلَكُم الجَنَّةُ ، وإِنْ غَشِيْتُم مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً فَأَمْرُكُمْ إلى الله عَزَّ وَجَلَّ ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَ .

* * *

إنَّهُ المُقْرِىء مُصْعَبٌ

وَقُبَيْلَ أَنْ يَنْصَرِفَ المُبَايِعُوْنَ طَلَبُوا مِنَ الرَّسُولِ ﷺ أَنْ يُرْسِلَ مَعَهُمْ مَنْ يُعَلِّمَهُمُ الدَّعْوَةَ إلىٰ اللهِ ، وَيُقْرِئَهُمُ القُرْآنَ الْكَرِيْمَ ، وَيُفَقِّهَهُمْ في الدِّيْنِ .

فَاخْتَارَ لَهُمْ سَفِيْرَاً مُقْرِئاً هُوَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ رَضِيَ الله عَنْهُ .

وَشَاءَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يُجْرِيَ الخَيْرَ عَلَى يَدَيْ مُصْعَبٍ ، حَيْثُ كَانَ يُصَلّي بمُسْلمي يَثْرِبَ

إِمَاماً ، وَكَانَ يُعَلِّمُهُمْ ، وَيَقْرأُ عَلَيْهِمُ القُرْآنَ ، وَيُفَقِّهَهُمْ في الدِّيْنِ .

وَمِنَ الأُمُوْرِ الَّتِي وُفِّقَ بِهَا مُصْعَبٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أَنَّه كَانَ لا يَتَكَلَّفُ ، وَلا يَتَنَطَّعُ ، بَلْ كَانَ يَعْمَدُ إِلَىٰ التَّيْسِيرِ ، وَالتَّقْرِيْبِ ، وَالتَّبْسِيْطِ.

مِثَالُ ذَلِكَ دَعْوَتُهُ لأُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ ، وَسَعْدِ ابْنِ مُعَاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا : فَذَاتَ لَيْلَةٍ أَخَذَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ حَرْبَتَهُ ، وَانْطَلَقَ لِيَرىٰ مَا سَمِعَ عَنْ دَعْوَةِ مُصْعَبٍ ، وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ .

فَلَمَّا رَآه أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ ؛ قَالَ لِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ : هَذَا سَيِّدُ قَوْمِهِ قَدْ جَاءَكَ فَاصْدُقِ اللهَ فِيْهِ .

قَالَ مُصْعَبٌ : إنْ يَجْلِسْ أُكَلِّمْهُ .

فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ قَالَ : مَا جَاءَ بِكُمَا إِلَيْنَا تُسَفِّهَانِ ضُعَفَاءَنَا ؟ اعْتَزِلانَا إِنْ كَانَتْ لَكُمَا بِأَنْفُسِكُمَا حَاجَةٌ .

فَقَالَ لَهُ مُصْعَبٌ : أو تَجلسُ فتسمعُ ، فَإِنْ رَضِيْتَ أَمْرَاً قبِلْتَهُ ، وَإِنْ كَرِهْتَهُ كُفَّ عَنْكَ مَا تَكْرَهُ .

قَالَ : أَنْصَفْتَ ، ثُمَّ رَكَّزَ حَرْبَتَهُ ، وجَلَسَ إِلَيْهِمَا ، فَكَلَّمَهُ مُصْعَبٌ بِالإِسْلامِ ، وَقَرأَ عَلَيْهِ القُرْآنَ .

فَقَالاَ : وَاللهِ لَعَرفْنَا في وَجْهِهِ الإِسلاَمَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ في إِشْرَاقِهِ وَتَسَهُّلِهِ .

ثُمَّ قَالَ : مَا أَحْسنَ هَذَا الكَلامَ ، وَأَجْمَلَهُ! كَيْفَ تَصْنَعُونَ إِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَدْخُلوا في هَذَا الدِّيْنِ ؟

قَالا لَهُ : تَغْتَسِلُ فَتَطهَّرُ ، وَتُطَهِّرُ ثَوْبَيْكَ ، ثُمَّ تَشْهَدُ شَهادَةَ الحَقِّ ، ثُمَّ تُصَلِّي .

فَقَامَ فَاغْتَسَلَ ، وطَهَّرَ ثَوْبَيْهِ ، وَشَهِدَ شَهادَةَ الحَقِّ ، ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُمَا : إِنّ وَرَائِي رَجُلاً إِنْ اتَّبَعَكُمَا ؛ لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ ، وَسَأُرْسِلُهُ إِلَيْكُمَا الآن : سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ .

ثُمَّ أَخذَ حَرْبَتَهُ ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلىٰ سَعْدٍ ، وقَوَمِهِ ، وَهُمْ جُلُوسٌ في نَادِيْهِمْ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ مُقْبِلاً ، قَالَ : أَحْلِفَ بِاللهِ لَقَدْ

جَاءَكُمْ أُسَيْدٌ بِغَيْرِ الوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ!

فَلَمَّا وَقَفَ عَلىٰ النَّادِي قَالَ لَهُ سَعْدٌ : مَا فَعَلْتَ ؟!

قَالَ : كَلَّمْتُ الرَّجُلَيْنِ فَوَاللهِ مَا رَأَيْتُ بِهِمَا بَأْساً ، وَقَدْ نَهَيْتُهُمَا فَقَالا : نَفْعَلُ مَا أَحْبَبْتَ ، وَقَدْ حُدِّثْتُ أَنَّ بني حَارِثَةَ قَدْ خَرَجُوا إلىٰ أَسْعَدِ ابْنِ زُرَارَةَ لِيَقْتُلُوْهُ ، وذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدْ عَرَفُوا : أَنَّه ابْنُ خَالَتِكَ لِيُخْفِرُوْكَ!

قَالَ : فَقَامَ سَعْدٌ مُغْضِباً مُبَادِرَاً تَخَوُّفاً لِلَّذِي ذُكِرَ لَهُ مِنْ بَنِي حَارِثَةَ ، فَأَخَذَ الحَرْبَةَ مِنْ يَدِهِ ، ثُمَّ قَالَ : وَاللهِ مَا أَرَاكَ أَغْنَيْتَ شَيْئاً ، ثُمَّ

خَرَجَ إِلَيْهِمَا ، فَلَما رَآهُمَا سَعْدٌ مُطْمَئِنَّيْنَ عَرَفَ سَعْدٌ أَنَّ أُسَيْداً إِنَّما أَرَادَ مِنْهُ أَنْ يَسْمَعَ مِنْهُمَا ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمَا مُتَشَتِّماً ، ثُمَّ قَالَ لأَسْعَدِ بْنِ زُرَارَة : يَا أَبَا أُمَامَةَ! أَمَا واللهِ لَوْلا مَا بَيْنِي ، وبَيْنِكَ مِنَ القَرَابَةِ مَا رُمْتَ هَذَا منِّي! أَتَغْشَانَا في دَارِنَا بِمَا نَكْرَهُ ؟!

فَقَالَ لَهُ مُصْعَبٌ : أَوَ تَقْعُدُ فَتَسْمَعُ ، فَإِنْ رَضِيْتَ أَمرَاً ، وَرَغِبْتَ فِيْهِ ؛ قَبِلْتَهُ ، وَإِنْ كَرِهْتَه ؛ عَزَلْنَا عَنْكَ مَا تَكْرَهُ .

قَالَ سَعْدٌ : أَنْصَفْتَ ، ثُمَّ رَكَّزَ الحَرْبَةَ وَجَلَسَ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ الإِسْلامَ ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ القُرْآنَ .

قَالَ : فَعَرَفْنَا وَاللهِ في وَجْهِهِ الإسلامَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ لإشْرَاقِهِ ، وتَسَهُّلِهِ .

ثُمَّ أَعْلَنَ إسْلامَهُ ، وَانْطَلَقَ إلىٰ قَوْمِهِ .

وَهَنَاكَ قَالَ لَهُمْ : يَابَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ! كَيْفَ تَعْلَمُونَ أَمرِي فِيْكُمْ ؟

قَالُوا : سَيِّدُنَا ، وَأَفْضَلُنَا رَأْياً ، وَأَيْمَنُنَا نَقِيبةً ـ أي : أَحْسَنُنَا طَبْعَاً وخُلُقاً ـ .

قَالَ : فَإنَّ كَلامَ رِجَالِكُمْ ، وَنِسَائِكم عَلَيَّ حَرَامٌ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُوْلِهِ!

قَالُوا : فَوَاللهِ مَا أمْسَىٰ في دَارِ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ رَجُلٌ ، وَلا امْرَأَةٌ إلا مُسْلِمَاً ، أَوْ مُسْلِمَةً .

وَرجَع أَسْعَدُ ، وَمُصْعَبٌ إلىٰ مَنْزِلِ أَسْعَدِ ابْنِ زُرَارَةَ ، فَأَقَامَ عِنْدَهُ يَدْعُو النَّاس إلىٰ الإِسْلامِ .

وَيَشَاءُ اللهُ تَعَالَىٰ لأَهْلِ يَثْرِبَ الخَيْرَ ، وَالنُّورَ ، وَالهِدَايَةِ ، حَيْثُ انْتَشَرَتْ أَنْبَاءُ الدَّعْوَةِ ، فَلَمْ تَبْقَ دَارٌ مِنْ دُوْرِ الأَنْصَارِ إلا وَفِيْها رِجَالٌ ، ونِسَاءٌ مُسْلِمُوَنَ .

لَكِنْ مَاذَا حَدَثَ بَعْدَ ذَلِكَ ؟ لعلّ ذلك يأتي في الحِكايَةِ القَادِمَةِ ، إن شَاء اللهُ تَعَالى .

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ

* * *